إضاءات على غزوات النبي محمد (ص)- الأسباب والنتائج

أ.د. عهود حسين جبر

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

عمل النبي محمد (ص) على تأسيس أول دولة اسلامية بنى قواعدها بعد سنته الاولى بعد الهجرة، وقد واجهت الدولة الاسلامية الفتية مواجهة شرسة من جانب قريش التي قررت أن تنهي الوجود الاسلامي فشنت الحرب بعد الحرب على المسلمين، فكان لابد للنبي (ص) والمسلمين من اتخاذ موقف للدفاع .

وقد نزلت آيات كثيرة في العام الاول من الهجرة لتنبئ النبي (ص) نوايا المشركين والمنافقين تفضح خططهم وترسم الخطوات التي يخطوها النبي وأصحابه من المؤمنين ضد المشركين والمنافقين .

لقد كان النبي (ص) هدفا لقريش من خارج المدينة واستهدفه اليهود من داخل المدينة فكان النبي (ص) يرصد هذه التحركات فكانت ثماني غزوات طيلة السنة الثانية للهجرة بما فيها غزوة بدر الكبرى، وقد كان النصر حليف المسلمين في أغلب غزواتهم .

وقد أصرت قريش على عدوانها ضد الاسلام والمسلمين من خارج المدينة ونقضت اليهود عهودها مع النبي (ص) مرات عديدة خلال سنوات متتالية، فكانت خمس غزوات هي أحد وبني النضير والاحزاب وبني قريظة وبني المصطلق، وقد رد الله سبحانه كيد الاحزاب واليهود معا في العام الخامس بعد ان نصر المسلمون نصرا مؤزرا وكان تمهيدا بذلك للفتح المبين في السنة الثامنة للهجرة بعد ان يئس المنافقون والكفار من القضاء على المسلمين .

وكانت خطة البحث تشتمل على ثلاث فقرات، تناولت في الفقرة الأولى حال المجتمع العربي في عهد الرسالة وما لاقاه النبي (ص) من صعوبة في تغيير هذا المجتمع واقناعه بالدعوة الاسلامية الجديدة، اما الثانية فقد تناولت فيها غزوات النبي (ص) واسباب كل غزوة والخطط التي وضعها الرسول (ص) لهذه

الغزوات، ونتائج هذه الغزوات وقد ركز البحث على الغزوات التي شارك فيها الرسول بالقتال فعليا، وهي: غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة الخندق، غزوة بني قريظة، غزوة المصطلق، غزوة حنين .

وتناولت في الفقرة الثالثة شخصية النبي القائد، وخلص البحث الى أهم النتائج .

أولا: المجتمع العربي:

مما لاشك فيه ان المجتمع في عهد النبي محمد (ص) كان يحمل من الشوائب والامور المستنكرة الكثير، من أبرزها الشرك ووأد للبنات وشرب للخمر وغيرها من هذه الامور القبيحة وقد تآلف معها المجتمع وصارت جزءا من تكوينه النفسي والفكري ، الى جانب ذلك تلك الطبقية المقيتة التي تفرق بين الناس على اساس عرقي ومادي ، وبطبيعة الحال كان تغيير هكذا مجتمع من المهام الصعبة ، (فهذه التركيبة الاجتماعية لم تسمح أن تتغير من داخلها لما فيها من رواسب وعادات وتقاليد وعصبيات تنكرت لقيم ومبادئ السماء وأصرت على عنادها وصدودها ،ورصدت الحركة الاسلامية الجديدة بألوان من المكائد والمؤامرات) [١]

ولم يكن المشركون يفهمون إلا لغة القتل والثأر يفهمونها جيدا، لان حياتهم كانت قائمة على هذا الصراع الازلي، الذي طالما سفكت فيه الدماء وهتكت فيه المحارم، إنه مجتمع عنيف يؤمن بالبقاء للأقوى وليس للأصلح .

فكان الحمل ثقيلا على الرسول (ص)، فقد جوبه بالرفض الشديد حتى وصل الامر الى التخطيط لقتله لولا حفظ من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [٢]

وكان الرفض شديدا لهذه الدعوة المارقة في نظرهم، لماذا؟ لأنها قلبت الامـور والموازين وساوت بينهم وبين العبيد ،وقد رفض، علية القوم هذا التغيير ،و هؤلاء هم من تضررت مصالحهم من وراء تلك الدعوة ، (لأن خطر الاسلام على الجاهلية عظيم، كما كان يتحسس أبو جهل وأتباعه من أقطاب الشرك والوثنية ، ان يقوض الاسلام سلطانهم وهيمنتهم الطاغوتية) [٣]

الى جانب ذلك فهم لا يستطيعون ان يؤمنوا بإلاله غائب عن مداركهم الحسية ، فكانت حاجتهم الى وسيط بينهم وبين آلهتهم .

وكان من الطبيعي ان يستخف هؤلاء بمحمد واتباعه في بادئ الامر لقلة عددهم وعدتهم، فتعرضوا للتهديد والتعذيب .

وما لبث النبي الكريم (ص) ان هجر تلك الديار مع اصحابه واتباعه خوفا عليهم من بطش هؤلاء تاركين ورائهم اموالهم وأملاكهم .

لقد كان اتباعه عليه السلام مؤمنين ومتيقنين من حكمة نبيهم، فلا نقاش ولا اعتراض انه الاستسلام الكامل والايمان المطلق والعقيدة الراسخة .

ثانيا: غزوات النبي (ص):

جمعت سيرة النبي (ص)، وكان من ضمنها المغازي (وفيها تركيز على الجانب العسكري في حياة الرسول (ص) ومن المغازي مغازي ابن اسحاق وابن سعد والواقدي، والمغازي هي انبثاق عن منظومة الجهاد التي كانت في اصول الاسلام فرض من الله لقتال اعدائه) [٤]

فلقد حرص الكفار للقضاء على الدعوة الاسلامية الفتية منذ بدايتها، ولم يتركوا سبيلا إلا سلكوه لأنهائها ، بالتهديد والوعيد وتعذيب المسلمين ومقاطعتهم، وقد كانت السماء راعية للمسلمين توجه الرسول وتنبهه ، الى ان كانت الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة ، فترك المسلمون ديارهم وممتلكاتهم .

ولم يترك الكفار النبي ومن معه في حالهم وانما كانوا يحيكون المؤامرات والمكائد لإيذاء النبي والمسلمين من المهاجرين والانصار. وكان لابد من اتخاذ موقف حتمي قتال قريش ، فكانت أولى الخطوات القتالية التي يمكن للمسلمين أن يتخذوها بعد ما رأوه من تعذيب ونهب ومصادرة أموال، هو مهاجمة القوافل التجارية التابعة لقريش والمتجهة إلى بلاد الشام، وكانت هذه البداية. [٥]

وقد جاء الإذن بالقتال بعد أن أصبح للمسلمين قوة، لا يستهان بها، فلا بدَّ لمن يريد أن يقيم دولة أن تكون له المقدرة للدفاع عنها. خاض الرسول محمد (ص) العديد من الغزوات التي كانت تهدف لرفع راية

الإسلام والدفاع عنه ضد كل من يحاول أن يشوّهه أو يحاول النيل من المسلمين، وقد بلغ عدد غزوات الرسول (٢٧) غزوة وكان أكثرها في العالم الثاني من الهجرة، فيما يلي سنُسلط الضوء على مجموعةٍ من أشهر الغزوات التي خاضها رسولنا الكريم.

وكان النبي (ص) يعلم نوايا قريش للفتك بالمسلمين والقضاء عليهم فكان لابد من المواجهة بين الفريقين ، فكل فريق يحمل مبرراته ، فالكفار وما يحملون من حقد وكره للإسلام والمسلمين ، والمسلمون الذين لاقوا من الكفار ما لاقوا من الاذى والتهجير من الديار .

وقد أحاط النبي محمد (ص) بكل هذه الامور ،وتحققت كل أسباب المواجهة فأذن الله لهم في الحرب ، وجاء الاذن لهم في الآية الكريمة: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير * الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الأمور) [٦]

(جاء الإذن في هذه الآية الكريمة بالقتال ولم تعلله بنشر الاسلام أو إلجاء الناس اليه ، وإنما عللته بما وقع على المسلمين من ظلم وما اكرهوا عليه من الهجرة والخروج من ديارهم من غير حق الا أن يقولوا كلمة الحق ، ثم لاتقف الآية الكريمة عند هذا الحد ، بل يتبين أن هذا الإذن موافق لما تقضي به سنة التدافع بين الحق والباطل حفظا للتوازن ودرءا للطغيان) [٧]

فكانت المواجهات من خلال الغزوات التي خاضها المسلمون ضد الكفار وقد (انطلق النبي (ص) في حركته العسكرية من مفهوم الجهاد والتضحية من أجل الدين بدلا عن مفهوم العصبية والثأر) [٨] والنبي بهذا الاطار قد اعطى لما هو سائد من مفاهيم صبغة جديدة ، فبعد ان اخذ الثأر مأخذا من حياة الناس، اصبح الجهاد والتضحية في سبيل الدين الحق هو الهدف الاول لخوض المعارك وبذلك اتخذت الامور منحى آخر في الصراع بين المسلمين والكفار، الغزوان التي اشترك فيها النبي (ص):

(كان عدد مغازي رسول الله، (ص)، التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وكانت سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات: بدر القتال وأحد والمريسع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف، فهذا ما اجتمع لنا عليه) [٩]

وقد رفض رسولنا الكريم ان يكون الخروج للقتال من اجل الغيمة وانما خالصا لوجه الله سبحانه والدفاع عن الاسلام واعلاء شأنه قال الرسول (ص): (لا يخرجن معنا الى الجهاد إلا راغب في الجهاد أما الغنيمة فلا) [١٠]

١- غزوة بدر: في السنة الثانية ، السابع عشر من شهر رمضان ، كانت معركة بدر بين المسلمين وكفار قريش. وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل، وأعز الاسلام ودمغ الكفر وأهله[١١]

ومنطقة بدر تقع على بعد مائة وستين كيلو مترا عن المدينة المنورة بالطريق بين مكة والمدينة باتجاه مكة.

(لقد أدى الى معركة بدر رغبة قريش الجامحة في إبادة قوة الاسلام النامية إن هذه الرغبة هي السبب الوحيد للمعركة، فمن الثابت أن قوة المسلمين يوم ذاك كانت لا تزيد على ثلاثمائة وكانوا عزلا من السلاح) [١٢].

خرجت قريش بعدد كبير من المقاتلين يناهز الالف فارس مدججين بالسلاح ، مندفعين بغرور وتجبر ، لكثرة عددهم ومكانتهم بين القبائل العربية ،وهذا التفاوت في القوة والاستعداد للمعركة جعل بعض المسلمين يفقدون الامل في التغلب على الأعداء ، ولكن الله سبحانه وتعالى بشرهم بالنصر ، قال تعالى : (إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١٣)

وقد أراد النبي (ص) ان يختبر نوايا المهاجرين والانصار وقال: اشيروا علي ايها الناس، وقد كان المهاجرون والانصار مع النبي ،في طاعة تامة وايمان عميق لا يتزعزع ،(والتفّ المسلمون حول النبي وهم يظهرون اروع صور الاستعداد للتضحية من أجل العقيدة) [١٤]

وعندما تأكد النبي (ص) من عزم المسلمين على القتال واستعدادهم للتضحية قال (ص): (سيروا على بركة الله فان قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم) [١٥]

وقد كان النبي (ص) يتضرع لله سبحانه ويستغيث به في تلك اللحظات الحرجة ، فكانت عناية السماء التي امدت المؤمنين بالغلبة والنصر ،قال تعالى :

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أَنِّي مُمِدُّكُم بألف مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مردفين* وَمَا جَعَلَهُ ألله إِلَّا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وَمَا النصر إِلَّا من عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ألله عَزِيزٌ حَكِيم)[١٦].

نتائج غزوة بدر:

شكلت معركة بدر تحولا جذريا في وضع المسلمين إذ (خلفت هذه المعركة نتائج عظيمة فقد فر المشركون نحو مكة والخيبة والذل يحيطان بهم من كل جانب تاركين خلفهم سبعين قتيلا وسبعين أسيرا وغنائم كثيرة) [١٧].

وهذه المعركة اعلت من شأن المسلمين وفرضت هيبتهم في الوقت الذي فقدت فيها قريش مكانتها بين القبائل .

غزوة أحــد :

شكلت غزوة بدر وانتصار المسلمين صدمة كبيرة للكفار، فما لبثوا ان استفاقوا منها ، وكان لابد من الثأر ،إضافةً إلى ما قام به المسلمون من السيطرة على طرق تجارتهم التي تمرّ من الساحل، (فاجتمعت قريش لحرب رسول الله (ص)، ومعها كنانة وبعض القبائل) [١٨].

وسميت معركة أحد نسبة الى جبل وقعت في سفحه المعركة، وكانت هذه المعركة في السنة الثالثة للهجرة

وكانت تصل للنبي (ص) أخبار قريش، واصرارهم على طلب الثأر والانتقام من المسلمين شر انتقام ولاسيما اولئك الذين قتل منهم رجال في معركة بدر، إنها معركة الثأر

وقد جهزوا لذلك جيشا قويا في عدته وعدده [١٩].

وقد سارت قريش حتى بلغت العقيق ونزلت سفح جبل على بعد خمسة أميال من المدينة ، ثم ساروا حتى نزلوا مقابل المدينة ، وذلك لخمس من شوال من السنة الثالثة للهجرة . [٢٠]

ولم يكن النبي (ص) ليقدم على اية خطوة من دون استشارة أصحابه حتى يشعرهم بالأهمية والمسؤولية ، وقد كان الاتفاق على ملاقاة العدو خارج المدينة .

وخرج النبي (ص) مع جيشه مع الصبح حتى بلغوا احدا (منطقة القتال) واختار ان يعسكر في سفح جبل احد بحيث يكون ظهرهم الى الجبل مستقبلا المدينة ،وكان على يسار المسلمين جبل فيه ثغرة فأقام عليها خمسين رجلا من الرماة ، عليهم عبد الله بن جبير ، وأوصاه ان يرد الخيل عنهم ، حتى لايأتوهم من خلفهم . [٢١]

وقال لهم الرسول واوصاهم: (فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا) واحتدمت المعركة وقتل اصحاب الالوية من العدو، انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء حتى سقط اللواء وانهزموا ، وظل النصر بجانب المسلمين ، حتى عصوا الرسول (ص) وتنافسوا على الغنائم. [٢٢] وانقلبت الامور وهزم المسلمون في هذه المعركة. وعندما ظنّ المسلمون أنّهم انتصروا بدأوا بجمع الغنائم، فانتهز خالد بن الوليد وكان حينها على الشرك الفرصة، والتفّ على المسلمين من وراء الجبل وقاتلهم، ممّا أدّى إلى انتصار المشركين على المسلمين[٢٣] قال تعالى: (ولقد صَدَقَكُمُ ألله وعده إِذۡ تَحُسُّونَهُم بإذنه حتى إِذَا فشلتم وتنزعتم فِي ٱلۡأَمۡرِ وعصيتم مِّنۢ بعد مَآ أريكم مَّا تحبون مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدنيا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عَفَا عنكم ولله ذُو فَضۡلٍ عَلَى المؤمنين*) [٢٤].

غزوة الخندق:

غزوة الخندق فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ "، وقد سمّيت هذه الغزوة بذلك الاسم بسبب الخندق الذي حفر حول المدينة وتسمّى أيضاً بغزوة الأحزاب، وذلك لتحزّب طوائف من الكفار على قتال المسلمين، وهؤلاء هم: قريش، وغطفان، واليهود، ومن تبعهم. ولمّا أخرج النّبي (ص) اليهود من المدينة، وألحقهم بخيبر، والشّام، وقام بأخذ أموالهم، وقتل منهم من قتل، غاظهم ذلك، فأوغروا قلوب قريش على النّبي (ص) حتى يخرجوا لقتاله، ثمّ خرج اليهود إلى غطفان، ودعوهم ليحاربوا الرّسول (ص) فخرجت قريش في أربعة آلاف، وكان لواؤهم بيد عثمان بن أبي طلحة قبل إسلامه، وكان عدد خيلهم ثلاث مئة فرس، وكانت إبلهم ألفاً وخمس مئة بعير، وكان قائدهم أبو سفيان. [٢٥]

وكانوا ثلاثة عساكر، وقائد الكلّ أبو سفيان. ولمّا بلغ النّبي (ص) خبر خروجهم، ندب النّاس لحفر الخندق حول المدينة، وكان (ص) وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف على الصّحيح المشهور، وكان الخندق بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه، حيث أنّه قال:" يا رسول الله، إنّا كنّا إذا حوصرنا خندقنا علينا "، فكانت هذه مكيدة لم تعرفها العرب. [٢٦]

وعندما فرغ النّبي (ص) من حفر الخندق، أقبلت قريش ونزلت في مجتمع الأسيال، وكانت غطفان في ذنب نقمى إلى جانب أحد، وخرج النّبي (ص) ومعه المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، فعسكر هناك، وكان الخندق بينه وبين القوم، وأمر أن تجعل النّساء والأطفال في الأبنية العالية المرتفعة. ذكر في العيون:"

قد أحاط المشركون بالمسلمين من كلِّ جانب وحاصروهم، فاشتدّ البلاء على المسلمين، وانتشر النفاق فيما بينهم، وبينما هم على ذلك إذ أقبل نعيم بن مسعود ليُخبر رسول الله بإسلامه دون علم قومه، فأرسله رسول الله إلى صفوف الكفار ليُثير الفتنة فيما بينهم، ويُوقع الشّكّ في قلوبهم تَجاه بعضهم البعض، فوقعت الفرقة بين أحزاب المشركين، وأرسل الله عليهم ريحاً شديدة اقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم، وأنزل إليهم الملائكة فألقت في قلوبهم الرّعب، ولم يَصل المشركون إلى مبتغاهم، فجمعوا أنفسهم وعادوا إلى ديارهم، وقد أسفرت هذه الحادثة عن مقتل أربعة من المشركين، واستشهاد سبعةٍ من المسلمين.

قال أبو سفيان:" يا معشر قريش؛ إنّكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الرّيح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا؛ فإنّي مرتحل . وبذلك انتهت المعركة من دون قتال . [٢٧]

قال تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً) [٢٨]

غزوة بني قريضة :

لم يكن اليهود ليلتزموا بعهد وميثاق مع الرسول (ص)، فقد(كشف يهود قريظة عن الحقد والعداء الذي انطوت عليه نفوسهم يوم الخندق ولولا أن الله سبحانه وتعالى أخزى الاحزاب لتمكن يهود بني قريظة من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم فكان لابد للرسول ص من معالجة موقفهم الخياني ولهذا أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم)أن يتحرك المسلمون لمحاصرة اليهود في حصونهم ،واعطى النبي رايته للأمام علي عليه السلام وتبعه المسلمون على ما بهم من ألم وجوع من أثر محاصرة الاحزاب واستولى الهلع والخوف على اليهود حين رأوا الرسول (ص) والمسلمين يحيطون بهم). [٢٩]

وطلب بنو قريظة من النبي ان يرتحلوا عن المدينة ، ولكن النبي أبى ان يرحلوا من دون عقوبة بسبب خيانتهم .

ثم حكم فيهم سعد بن معاذ وكان رسول الله قد اوكل أمرهم اليه ، فحكم سعد فيهم بأن يقتل رجالهم وتسبى نساءهم . [٣٠]

غزوة حُنَيْن :

من الامور الكبيرة والعظيمة التي حققها الرسول (ص) فتح مكة وقد كان نصر من الله سبحانه وتعالى ، وبهذا الفتح يكون النبي (ص) قد أسكت صوتا عدوا طالما أزعجه وأرقه ، ولم يكن فتح مكة ليقضي على جميع مناوئيه فقد كانت هناك قبائل في الجزيرة العربية لم تخضع للنبي ولم تستسلم له ،ومنها قبيلة

هوازن وثقيف وغيرهما، إذ بعد الفتح بعث نبينا الكريم رسائل الى القبائل التي لم تدخل الاسلام يدعوها الى دخوله فامتنعت عليه قبائل هوازن وثقيف ومن حالفهم . [٣١]

وقد خطط هؤلاء بقيادة رجل يدعى مالك بن عوف النصري من قبيلة هوازن للهجوم على الرسول والمسلمين. فسيروا جيشا كبيرا يضم هوازن وثقيف كلها ونصر وجشم وسعد بن بكر وغيرهم، حتى وصلوا قرب مكة [٣٢]

فكانت غزوة حنين، وهي غزوة وقعت في الثالث عشر من شهر شوال في السّنة الثامنة للهجرة بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف في واد يسمّى حنين بين مدينة مكّة والطائف. [٣٣]

وعندما وصلت الأخبار للمسلمين وجّه المسلمون جيشًا كبيرا تعداده اثنتا عشرة الف مقاتل وكان فيهم الكثير ممّن دخل الاسلام بعد الفتح . الى جانب ذلك اضاف النبي الى سلاحه سلاحا استعاره من صفوان بن امية وهو مائة درع . [٣٤]

هذه الكثرة في العدة والعدد ادخلت الغرور في قلوب بعض المسلمين وتصوروا انهم لا يغلبون ولكن هذه الكثرة لم تحقق لهم النصر وهزموا امام العدو ، قال تعالى :(لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ* ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ*) [٣٥].

قرر محمد (ص) الخروج للقتال في مكان متوسط بين هوازن ومكة، فقد آثر ألاّ ينتظر بمكة. وفي ذلك حكمة كبيرة جدًّا؛ لأنه لو بقي في مكة وغزاها مالك بن عوف بجيشه، فقد يتعاون أهل مكة معه. وفي تلك الأثناء، كان أهل مكة حديثو عهد بشركٍ وجاهلية، وهذه كارثة؛ لأن الحرب بذلك ستصبح من الداخل والخارج، ومن ثَمَّ فضَّل الرسول (ص) يخرج بجيشه إلى مكان مكشوف بعيد عن مكة .

وقد أمر مالك بن عوف قومه بأن يخرجوا جميعًا لملاقاة المسلمين ويأخذوا معهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم وأغنامهم وإبلهم وأبقارهم معهم في المعركة. وذلك حتى لا يفر المقاتلون من أرض المعركة. وقد خرج في

جيش هوازن أحد شيوخها وهو دريد بن الصمة، وقد كان عمره مائه وستون عاماً، وهو ذو دراية وخبرة بفنون الحرب وأساليب القتال. ولما علم من أمر مالك بن عوف مع قومه بأن يخرج الأبناء والنساء والأموال والماشية؛ أنكر دريد هذا الرأي وقال إن هذا لا ينفعنا ولكن مالك بن عوف أصر على رأيه وخرج الجيش بما فيه فقال دريد لمالك بن عوف: "إذا لقيت محمدًا وجهًا لوجه فاعلم أنك مهزوم. فقال له مالك: "وما الرأي إذًا"، فقال دريد: "أكمن لهم فاذهب إلى حنين وأدخل بين الاشجار وعندما يصل المسلمون إلى وادي حنين اخرج عليهم وحاصرهم. [٣٦]

لمّا وصل رسول الله إلى وادي حُنين، وإذا بالعدو قد سبقهم إليه، فأحاطوا ب النبي وجيشه وحملوا عليهم حملة رجل واحد، فانهزم الناس خوفاً منهم، أخذ ينادي (ص): «أيّها الناس هلمّوا إليّ، أنا رسول الله محمّد بن عبد الله»، فلا يأتيه أحد! ولمّا رأى النبي هزيمة القوم عنه قال للعباس . وكان صيّتاً جهوري الصوت: «ناد القوم وذكّرهم العهد»، فنادى بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة! إلى أين تفرّون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله.

لحقت الهزيمة بالمسلمين في بداية غزوة حنين، وفر معظمهم في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه. [٣٧]

ثبت مع النبي يوم حنين عشرة أو اثنا عشر، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة. ، ثم إن آخرين قد عادوا بسرعة إلى المعركة فعدّوا فيمن لم ينهزم.

تمكّن رسول الله من بثّ روح الجهاد في نفوس المسلمين من جديد، وقد كان أصابهم الخوف والذعر وأوشكوا على الفرار الكامل وتسجيل الهزيمة النكراء، فاجتمع المسلمون ثانية وهجموا هجمة واحدة على المشركين، ومضى علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– إلى صاحب راية هوازن فقتله، وبعد مقتله كانت الهزيمة للمشركين. [٣٨]

بين القرآن الكريم أن الله أمد رسوله محمدًا بالملائكة في حنين قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) [٣٩].

غزوة بني المصطلق :

غزا النبي (ص) بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست للهجرة . [٤٠] والسبب في هذه الغزوة، أنه بلغ النبي (ص) ان بني المصطلق قد اجتمعوا بقيادة الحارث بن أبي ضرار، يريدون قتال المسلمين ، فلما سمع الرسول خرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع ، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق . [٤١]

ثالثا: النبي محمد (ص) القائد:

قاد النبي (ص) المعارك الجهادية ضد الكفار والمشركين ، ولم يتخلف الافي القليل من الغزوات، وكان الغلبة للمسلمين في أغلب هذه الغزوات، وهذا النصر انما تأتى من شخصية النبي القيادية، فالنبي الكريم كان قائدا فريدا من نوعه ،منطلقا من ايمان عميق بالله سبحانه وتعالى ، فقد كان في غزواته ينظم الجيش ،ثم يتجه بالدعاء لنصرة المسلمين، فلم (يتراجع في غزوة قط، وكان الابطال يتراجعون والصناديد من المهاجرين والانصار يفرون احيانا، ولكنه صلوات الله عليه يثبت ثبات الجبال الراسيات لا يتزحزح من موقفه)[٤٢] وكان متفائلا بالنصر، فشخصية النبي القائد كانت تشكل اهمية كبيرة في صمود المسلمين وازدياد حماسهم، فكان النصر، حتى لوكان العدو اكثر عدة وعددا ،(لقد كان المشركون في غزوة بدر ثلاثة أمثال المسلمين ، فهزمهم المسلمون بإذن الله) [٤٣]

وكان المشركون في غزوة حنين ضعف المسلمين ، ولكن الله نصرهم ، وسدد خطاهم بقيادة حكيمة للنبي.

الخاتمة:

وقد توصل البحث الى النتائج الآتية:

ـ كان شعار النبي (ص) منذ بداية الدعوة لا إكراه في الدين، ولم يسع عليه السلام الى إراقة قطرة دم واحدة، ولكن إصرار الكفار على معاداته والتنكيل بأتباعه، هو الذي أوصل الامر الى المواجهة .

. من الواضح ان قريش لم تعترض على هجرة النبي (ص) الى المدينة فهي لم تدرك خطورة الموقف، وكانت مستخفة بهذه الدعوة .

ـ يبدو ان الرسول (ص) لم يكن لديه الا القوة طريقا لإخضاع قريش .، و يعد اخضاع قريش مفتاحا لإخضاع القبائل الاخرى في الجزيرة العربية لان قريش تشكل اهمية كبيرة في بين قبائل الجزيرة العربية .

. اغلب الغزوات التي خاضها المسلمون ضد الكفار من قريش وغيرهم كانت دفاعا عن النفس والوجود .

ـ كان الانتصار حليفا للنبي (ص) في أغلب غزواته فهو مسدد من السماء ، وقد كانت الخسارة في بعض الغزوات ومنها (غزوة أحد) درسا للمسلمين لانهم خالفوا أمر الرسول (ص).

ـ إنّ الغزوات التي خاضها الرسول كانت نموذجاً عملياً في بيان صورة المقاتل النبيل الذي يحترم الانسان

ـ وكانت غزوة بدر التي حقق فيها المسلمون أول انتصار على المشركين سبباً ودافعاً كبيراً في تقوية شوكة المسلمين، ورهبة قلوب الأعداء مهم، وجعلت لهم مكانةً في جزيرة العرب.

ـ لم يكن النبي (ص) يواجه أعداءه خارج المدينة فحسب وإنما كان أعداؤه من اليهود داخل المدينة يتربصون بالرسول واتباعه من المسلمين ، وهذ الامر كان يشكل خطرا على المسلمين وقلقا .

ـ لم يكن النبي (ص) بالرجل المستبد برأيه بل كان دائما ما يستشير اصحابه والمحيطين به ، ولم يكن هذا السلوك ضعفا منه حاشاه ، بل كان يريد من وراء ذلك ان يشعرهم بقيمتهم واهميتهم

ـ كان النبي (ص) حريصا في غزواته على ان تكون خارج مكان المنطقة ،التي يستقر فيها وكانت له أسبابه ، ومن هذه الاسباب انه لم يكن واثقا في داخل المدن التي يستقر فيها من جميع الناس التي فيها

، فمنهم اليهودي الذي يغدر كما حصل في المدينة ومنهم حديث اسلام ولم يكن اسلامه راسخا بعد ،مثلما حصل في الغزوات بعد فتح مكة .

ـ كان النبي (ص)، يمتلك دراية ومعرفة دقيقة بنفوس الناس، وبدى هذا الأمر جليا وواضحا في حروبه ، فكان يراعي أتباعه من المسلمين ، الى جانب ذلك يقدر بدقة وضع اعدائه من اليهود والمشركين .

– كان النبي (ص) يبني دولة يحكمها الدين الاسلامي الحنيف من خلال التشريعات التي انزلها الله سبحانه وتعالى على النبي في القرآن الكريم .

الهوامش:

(١) بين وظيفة الرسول ومسؤولية الامة : ٦٧.

(٢) الانفال :٣٠.

(٣)بين وظيفة الرسول ومسؤولية الامة : ١٠٧ .

(٤)غزوات الرسول (ص) وسراياه : ٨.

(٥)ينظر السيرة النبوية : ١٣٥.

(٦) الحج : ٣٩.

(٧) الرسول في القرآن : ٨٣.

(٨) أهل البيت في القرآن الكريم : ١٣٠.

(٩) غزوات الرسول وسراياه : ١

(١٠)ينظر الواقدي كتاب المغازي ١/ و٦٣٤ينظر غزوات الرسول (ص)وسراياه جدلية الدعوة والقوة : ٤٥..

(١١) ينظر السيرة النبوية : ١٣٥.

(١٢) ساعات حرجة في حياة الرسول ص : ٤٧.

(١٣) الانفال :الآية ٤٢.

(١٤)أهل البيت في القرآن الكريم : ١٣٣.

(١٥) المغازي : ١/ ٤٨ . ٤٩.

(١٦) الانفال :٩. ١٠

(١٧)الرسول (ص) . لمحات من حياته ونفحات من هديه ١٣٤ .

(١٨) السيرة النبوية لابن هشام : ٤٦٩/٢ و أدب غزوات الرسول أخبارها وأشعارها . : ٦٧.

(١٩) ينظر سيرة ابن هشام : ٣/ ٤٦٩.

(٢٠) ينظر المصدر نفسه :٣/ ٤٧٠ .

(٢١) ينظر سيرة ابن هشام : ٣/ ٤٧٢. :

(٢٢) ينظر الرسول الاكرم : ١٩٧.

(٢٣) بنظر سيرة ابن هشام :

(٢٤) آل عمران : ١٥٢.

(٢٥) ينظر السيرة النبوية : ١٥٥.

(٢٦) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٣/ ٥٦٥. ٥٦٦.

(٢٧)ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٥٧٤/٣.

(٢٨) الاحزاب :٩.

(٢٩) ينظر السيرة النبوية لابن هشام :أهل البيت في القرآن الكريم : ١٥٦.

(٣٠) .السيرة النبوية : ١٥٩.

(٣١) ينظر محمد رسول الله : ٣٧٥.

(٣٢) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٤ / ٧٠٦.

(٣٣) المصدر نفسه : ٧٠٦/٤.

(٣٤) ينظر الرسول الاكرم :٢/ ١٣٤.

(٣٥) التوبة :٢٤. ٢٥.

(٣٦) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٧٠٧/٤ .

(٣٧) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٧١١.

(٣٨) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٧١٤/٤.

(٣٩) التوبة : ٢٦.

(٤٠) السيرة النبوية لابن هشام : ٣/ ٦٠٨.

(٤١)ينظر السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٦٠٩ .

(٤٢)المصدر نفسه : ١٣٧.

(٤٣)الرسول (ص) . لمحات من حياته ونفحات من هديه: ١٣٨.

المصادر والمراجع:

. القرآن الكريم .

١. ـ الأسدي عبد الرزاق فرج الله بين وظيفة الرسول ومسؤولية الامة ، ، دار الضياء . النجف الاشرف ، ط٢ ، ٢٠١٢م .

٢. ـ البدري سامي، السيرة النبوية . تدوين مختصر مع تحقيقات وآثار جديدة ـ السيد ،دار طور سينين للطباعة والنشر ،ط٣ ، ٢٠٠٥م.

٣. ـ الجبر موفق فوزي أدب غزوات الرسول . أخبارها وأشعارها . ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٩٩٧م .

٤. ـ حمودة ،عبد الوهاب ، ساعات حرجة في حياة الرسول (ص) ، ،دار القلم . القاهرة . ١٩٦٣م .

٥. ـ سهلب حسن غزوات الرسول وسراياه ، جدلية الدعوة والقوة ، ،دار الهادي للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .

٦. ـ سويد ناجي إبراهيم السيرة النبوية لابن هشام ،شركة دار الارقم بن أبي الارقم للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت .

٧. ـ الشاكري حسين، الرسول الاكرم (ص) ، المؤسسة الاسلامية للتبليغ والارشاد ـ قم المقدسة ، ط١ ،٢٠٠١م .

٨. ـ الشريف محمود، الرسول في القرآن الكريم ، ،دار الكتاب للطباعة والنشر ، ط٢ ، د . ت .

٩. ـ محمود الدكتور عبد الحليم، الرسول (ص) . لمحات من حياته ونفحات من هديه، ، مكتبة مصر ـ القاهرة ، ١٩٦٥م.